

أما خفتم سؤال الله:
 بأي ذنب قتلت
 بأي ذنب قتلتهم طفولتنا.... وذبحتم سعادتنا.... ووأدتم أرواحنا... في قبور
 أجساد خاوية
 بأي ذنب قتلت.... ستسألون...
 عذراً أي بنيّتي.... عذراً لطفولة سليناها.... وعاش المترفون على أطلالها
 بنوا قصورهم.. هنالك... غير أبهين بالجريمة... غير أبهين بـ
 ((أي ذنب قتلت))
 عذراً...
 عذراً...
 عذراً..

بقلم رياض سالم عمر

لعلها اليوم على مشارف السنة السادسة عشرة، إن لم تكن -هذه- احتوتها في أعماقها!!
 رأيته قبل قرابة الست سنوات، وكانت -ربما- في خريفها التاسع، إذ أشك أن تلك الطفلة الصغيرة رأته الربيع يوماً في حياتها!!
 هناك في مدينة الأحلام والكوابيس، حيث تسكن جميع المتناقضات، وتحوم أشباح الفقر جنباً إلى رباح الترف!!
 حيث برقد القديم البائس لصق الجديد التائه!! في مدينة تناوشها اللصوص، وانزوى الشرفاء في أحشاءها، لاذوا بالصمت هلعاً من
 أن يوقطوا الذل!!... فتركوها كلاً مباحاً لوحوش الغاب، وأنواع الجوارح التي تحلقت لتجيب صفاء سماء المدينة البائسة!!
 مترنصة لتهيش جسد المدينة الرابضة في غاية من التيه!!
 تلك المدينة التي أكل الزمان من جسدها الطاهر، سلبها أباؤها ابتسامه الغروب، وحين الشفق الخلاب!!

سرقوا منها سحبا الحلى بأقطار الحب!!!
 كنت أقطع شارع هايل بخطوات يدفعها الفرح، الذي حجب عني شيئاً
 من بؤس الشارع... وفجأة لاح لي وجه صغير، كآته قد من البؤس.... كآته قطعة حزن
 ...سكنت رأس طفلة لتصير وجهها.... بالله.... أي أحزان تجمعت لتحرم
 ذلك الوجه الصغير فرحة الطفولة؟

أي هموم تلك التي سلبت ابتسامات عمر بريء طاهر؟
 أي ربح خريف أتت لتصوّح أزهار الربيع النضرة!!
 أي شتاء هذا الذي استحثت السير... ليأخذ من البراءة دفاها...
 من الطفولة شمس الفجر الجميل؟
 أي دموع هذه التي أبت إلا أن تكون أبلغ من أي كلام.... أقوى من أي صراخ ..
 ..رسمت على خدين صغيرين ندوب زمن لم تزل على أعتابه..
 ..ولم تر من خيره شيئاً بعد... فلماذا خطفت شروره سعادة تلك العينين الصغيرتين!!
 سألت دموعها.... تدققت إلى أعماقي كألسنه اللهب...
 أضرمت النار في أعماقي السعيدة!!

فتبددت سعادتي كالبخار.... شعرت بعدها بظلمة شديدة خطفت نور النهار ذلك اليوم!!
 بالله... أي بلاغة احتوتها تلك العيون الصغيرة... الدامعة... أي نفاذ نفذته...
 تلك النظرات الباكية... إلى نفس يشقيها دموع البراعم الصغيرة؟!!
 تحوّل جسدي إلى أذن كبيرة... يستمع لعيون بدأت تتحدّث... لغة الدموع!!
 تحدّثت الدموع... بنهّدج حزين... ينخر في القلب بكل عنف... وبكل بؤس!!
 أنرى طفولتي هذه... كيف خطفتموها... كيف سلبتم مرجها؟
 أنرى سعادتي التي لم أرها قط... لم أهنأ بها بعد... جئت في صحاريكم القاتلة!!
 حرمتموها... حتى حق التبخّر... لئلاّ تكتشف جريمتكم في حقها!!
 بلعتها رمالكم الآثمة... ويخلتم عليها حتى بالأنثى... يدل على سعادة دفنت!!
 لم أعد أعلم من لغتكم هذه شيئاً... حتى الكلمات نسلتم معانيها... أي جريمة هذه؟
 ما المرح... وما الفرح... وما الابتسامه... وما ضحكات الربيع...؟
 ماهو الربيع هذا... أهو أكذوبة أخرى من أكاذيبكم؟
 وما التوم الهاديء... وما الشرير؟ أهنالك سرير غير هذه الأرض؟
 أهنالك لحاف غير هذه السماء؟

عن أي شيء تتحدّثون؟
 أنا لا أعرف سوى حديث اللقمة... أوجدها لكتلة لحم كورها الزمن في بيت بائس!!
 لا أعلم سوى أنين الجوع المصني... وصراخ حزن كئيب!!
 أما خفتم سؤال الله:
 بأي ذنب قتلت

بأي ذنب قتلتم طفولتنا... وذبحنم سعادتنا... ووأدتم أرواحنا... في قبور أجساد خاوية
بأي ذنب قتلتم... ستسألون...
عذراً أي بني... عذراً لطفولة سلبناها... وعاش المترفون على أطلالها
بنوا قصورهم.. هنالك... غير آبهين بالجريمة... غير آبهين بـ
(أي ذنب قتلتم))
عذراً...
عذراً...

[↑ للعودة للأعلى](#)

